مجلة جامعة زاخو، المجلد:3 (B)، العدد:1 ، ص 117-129، 2015 ISSN: 2410-7557

الدور السياسي والجهادي للصوفية في العصر الأيوبي (٥٦٧– ٦٤٨هـ/١١٧١– ١٢٥٠م)

شوكت عارف محمد و احلام عابد حسين
قسم التاريخ- فاكولتي العلوم الانسانية – جامعة زاخو
مدرسة مساعدة

(تاريخ القبول بالنشر: 16 كانون الاول 2014)

الملخص:

البحث مُحاولة لتتبع الدور السياسي والجهادي للصوفية في العصر الأيوبي (٥٦٧– ٦٤٨هـ/ ١١٧١– ١٢٥٠م) باعتباره كان يُمثل أحد أهم التيارات الدينية التي حظيت بقبول العامة وبرز دورهم على أكثر من صعيد حيث لم يقتصر دور الصوفية على الجانب الديني ،وإنما شمل جوانب الحياة المُختلفة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية فضلاً عن مساهماتهم السياسية والجهادية البارزة في مواجهة الغزو الصليبي من خلال مُشاركاتهم الميدانية في ساحات الوغى ، كما كان لهم دورهم الفاعل في ترسيخ الأمن الداخلي للدولة الأيوبية ، حيث شغل بعض شيوخ الصوفية مناصب سياسية مرموقة ، وكانوا في كثير من الأحيان بمثابة المستشارين أو السفراء للسلاطين، وربّما وقف بعضهم أحياناً موقف المعارضة للساسة الأيوبيين إذا وجدوا أنّ سلوكهم قد خرج عن الشرع أو أضّر بالمصلحة العامة للمسلمين، وقد تمّ تقسيم البحث الى مبحثين رئيسيين الأول : تمّ فيه التطرق الى دور الصوفية السياسي ، والمبحث الثاني : تمّ تناول دورهم الحربي ومشاركاتهم الجهادية .

*** بحث مستل من رسالة الماجستير الموسومة ((التصوف في بلاد الشام ومصر خلال العصر الايوبي)) ، مقدمة الى فاكولتي العلوم الانسانية ، جامعة زاخو ، ٢٠١٤.**

المقدمة

انتهجت الدولة الايوبية منذ بداية تأسيسها سياسة قائمة على عقيدة فكرية ضمن اطارها الديني السني ، بأعتبار ان ذلك سيمكنهم من مواجهة المخاطر الداخلية والخارجية على حد سواء،وقد جاء تبنيهم ودعمهم للحركة الصوفية باعتباره يمثل احد التيارات السنية البارزة في ذلك العصر يمكن من خلاله كسب ود الناس ،وأصبح التصوف الملجأ والمخلص للمسلمين من الاوضاع المزرية والصراعات السياسية والمذهبية التي تفاقمت ومكنت الاعداء من بلادهم ، لذلك كان اللجوء الى التصّوف باعتباره يمثل حركة دينية وفكرية تسمو فوق الخلافات المذهبية التي كانت تعيشها البلاد الاسلامية وهيأ الايوبيون الارضية المناسبة لآزدهار التصّوف من خلال بناء اماكن خاصة لآيوائهم الامر الذي ادى الى وفود العديد من شيوخ التصوف من بلاد المغرب والعراق الى مصر،واصبحوا كقادة ينقادون لتعاليمهم عامة الناس،باعتبارهم رموز دينية لا يخالفون الشرع والدين، لذا فقد اضطلعوا هؤلاء الشيوخ بأدوار مهمة في المجتمع المصري ،لاسيما دورهم السياسي والجهادي ولم يكن الزهد والورع عائقا في طريقهم،فقد كان لهم دور بارز في تعزيز قدرة الايوبيون على ترسيخ امنهم الداخلي ومشاركتهم في دعم وتقوية ركائز الدولة الايوبية بداية تأسيسها، ،كذلك كان لهم دور فعال في مواجهة الغزو الصليبي من خلال مشاركاتهم الميدانية في ساحات القتال،وشحذ نفوس المقاتلين للجهاد والشهادة في سبيل الله طيلة فترة الحروب الصليبية.

أولاً– دور الصوفية السياسي :

تعود عناية العلماء ورجال الدين بالجانب السياسي إلى الصلة الوثيقة بين الدين والسياسة فقد ظهر عبر العصور الإسلامية علماء إشتهروا ببحوثهم السياسية وفقه وتصدّوا للانحرافات التي كانت تحدث هنا وهناك في سلوك الحكام، أو سوء تطبيق الأحكام الشرعية، أو ظهور الظلم والفساد في الأجهزة الإدارية الذي كان ينعكس بدوره على الحياة العامة للمجتمع [١]، وقد بدا ذلك جلياً في العصر الأيوبي حيث إعتمد الأيوبيون في إعلان دولتهم وتثبيت دعائم حكمهم على عُلماء الدين من السنة الذين كانوا بمثابة قادة الرأي العام، وأحاطوا أنفسهم بالكثير من العلماء الذين كانوا بمثابة المجلس الاستشاري الذي يقف وراء صنع القرارات السياسية، وكان في طليعة أُولئك العلماء نُخبة من الزّهّاد والصوفية الذين عُرف عنهم مُساندتهم للأيوبيين، نذكر منهم الفقيه الشافعي الصوفي نجم الدين محمد بن الموفق بن سعيد الخبوشاني (ت: ٥٨٦هـ / ١١٩١م) الذي كان أحد شيوخ الشافعية المقربين الذين ساندوا السلطان صلاح الدين في جهوده من أجل نشر وتثبيت المذهب السني في مصر، وله مواقف مشهودة مع السلطان صلاح الدين الذي كان يعتقد في علمه وكراماته [٢]، وذاع صيته في العالم الإسلامي فعندما زار الرحّالة ابن جبير مصر إلتقاه تبركاً بدعائه لأنه سبق وأن سمع به وهو في الأندلس [٣].

ونال الشيخ زين الدين علي بن إبراهيم بن نجّية الدمشقي الواعظ (ت:٥٩٩هـ/١٢٠٢م) مكانة مُحترمة عند السلطان صلاح الدين وأبنائه من بعده نظراً لدوره المساند في الكشف عن واحدة من أخطر المؤامرات التي تعرض لها صلاح الدين سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م، عندما قاد الشاعرعمارة بن علي اليمني مُؤامرة لإزاحة حكم صلاح الدين الأيوبي في مصر باتفاقهم مع أحد أبناء العاضد إلاّ أنّ تلك المحاولة فشلت بفضل جهود ابن نجّية الواعظ الذي وشى بخبرهم عند السلطان صلاح الدين، فأستطاع من القبض على رؤوس المؤامرة وشنقهم [٤].

وكان الشيخ ابن نجّية الواعظ عظيم القدر عند السلطان صلاح الدين وأبنائه الذين حرصوا على حضور مجالس وعظه بجامع القرافة بمصر، وكان السلطان صلاح الدين الأيوبي يُسميه عمرو بن العاص لدهائه[٥] ، وكثيراً ما يستشيره ويأخذ برأيه، كما كانت له كلمة مسموعة عند أهل السنة في مصر، وأنعم عليه السلطان بالأموال فعاش في رفاهية وتنعم، وتروي المصادر أنه كان" يُعمل في داره من الأطعمة ما لا يعمل في دور الملوك"[٦] ، وبقي مُحافظاً على مكانته عند الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين، وكان أحد المستشارين المقربين عنده خاطبه: "إذا رأيت مصلحة في شيء فأكتب إلي بها فأنا ما أعمل إلا برأيك"[٧] ، ونال من جهته الدعم المادي أعطاه ذات مرة ما يزيد على أربعة آلاف دينار ليتمكن من تسديد ما عليه من ديون [٨] .

لقد تنّبه الأيوبيون في خضم المشاكل والحروب التي واجهتهم إلى حقيقة العلاقة القوية التي تربط علماء الدين، وفي مُقدمتهم الزهّاد بعامة الناس لذلك سعوا جاهدين إلى كسب وضمان ولائهم ليكونوا سنداً للدولة الايوبية[٩] ، فبقدر ما كان هؤلاء يُقدمون الدعم للدولة بقدر ما إزدادت قدرتهم على كسب العامة إلى جانبهم من مُنطلقات دينية لاسيما وأن العصر هو عصر جهاد، الأمر الذي أثمر عن علاقة ذات نمط خاص كثيراً ما تمّت فيه المزاوجة بين صاحبي القلم والسيف على إعتبار أنهما "أداة لصاحبه يستعين بها على أمره"[١٠] .

ويمكن القول أنّ دعم الأيوبيين للصوفية جاء إنطلاقاً من نزعة ذاتية طوعية فقد كان أغلب الأيوبيين يحملون نزعة دينية، فأحاط الكثير منهم أنفسهم بنخبة من الفقهاء الذين كانوا لا يُفارقونهم في حلّهم وترحالهم[١١] ، يستشيرونهم ويستأنسون برأيهم في المسائل المهمة، وتروي المصادر عن الملك المعظم عيسى صاحب دمشق أنه أحاط نفسه بمجموعة من العلماء منهم شهاب الدين الكاشاني وإرتبط معهم بصداقة حميمة جعلتهم في المقام الأول في دولته[١٢] .

وكان في خدمة الملك المنصور أمير حماة زهاء المئتين من المتعّممين من العلماء والقضاة والفقهاء والصوفية الأمر الذي يعكس المكانة التي حظي بها الصوفية والذين لم يكونوا بعيدين عن القرار السياسي[١٣] ، مثال ذلك ما قدّمه الشيخ علم الدين سليمان بن جندر من شيوخ حلب ووجهائها(ت: ٥٨٧هـ/ ١١٩١م) من نصح ورأي صائب عندما أشار بضرورة تخريب عسقلان لتتوفر العناية والإهتمام بالقدس[١٤] .

ومما ساهم في نجاح الأيوبيين وصلاح الدين على وجه الخصوص مراعاتهم التوازن بين التيارات الإسلامية المختلفة من المتصّوفة، وأصحاب الحديث وأصحاب الكلام وأصحاب المذاهب السنية المختلفة[١٥] .

ويُلاحظ أنه كلما زادت الأحداث احتداماً كان موقف العلماء يزداد صلابة وقوة ففي سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م[١٦] عندما قام الملك الكامل بتسليم القدس للصليبيين مما حدا بالواعظ الشهير الشيخ شمس الدين أبي الفرج بن الجوزي البغدادي الصوفي (ت: ٦٥٥هـ/ ١٢٥٧م) إلى التشنيع عليه وقيامه بتأليب الناس عليه وعقد مجلس وعظ بدمشق ذكر فيه فضائل بيت المقدس، وما حلّ بالمسلمين من تسليمه إلى الفرنج ، ومن جملة ما أنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة

ومنزل وحي مقفر العرصات[١٧]

فارتفع بكاء الناس وضجيجهم[١٨] ، وكان من كلامه: "وإنقطعت من البيت المقدس وفود الزائرين ياوحشة المجاورين كم كانت لهم في تلك الأماكن من ركعة وكم جرت لهم على تلك المساكن من دمعة"[١٩] ، وطلب منه الملك المعظم وعظ أهل دمشق للذب عن أملاكهم فأجابوه لذلك بالأرواح والأموال[٢٠] .

من جهة أُخرى لعب البعض من مشايخ الصوفية دور المصلح بين أفراد البيت الأيوبي، حيث كانت كلمتهم مسموعة فعملوا على إرساء دعائم السلام الداخلي، وكان يتم ذلك أحياناً بإيعاز من الخلافة العباسية، أو من الأيوبيين أنفسهم، فعلى سبيل المثال أوكل الملك الكامل إلى الفقيه الزاهد محمد بن الحسين بن عبدالرحمن الأنصاري (ت: ٦٣٣هـ / ١٢٣٥م) مُهمة إصلاح ذات البين مع أخيه الملك الأشرف موسى[٢١] .

وكان الشيخ ابي الفرج ابن الجوزي أحد المعتمدين من قبل الخلافة العباسية في علاقاتها مع الأيوبيين ببلاد الشام ومصر[٢٢] ، ومن المهام التي كلّف بها الوساطة بين الملك الكامل والملك الصالح إسماعيل، بعد أن قام الملك الكامل بمُحاصرة دمشق سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م على أثر وفاة صاحبها الملك الأشرف موسى حتى أجبر الملك الصالح إسماعيل للتسليم بشرط تعويضه بمناطق أخرى فوافق الملك الكامل بعد تدخل الشيخ ابن الجوزي بينهما[٢٣] ، فكان له دور كبير في إتحاد كلمة بني أيوب في الشام ومصر وقوفهم يداً واحدة ضد الصليبيين الموجودين في مصر ممّا ساعد على ضعف قوى الصليبيين وإنسحابهم وإسترداد دمياط سنة ٦١٨ هـ/ ١٢٢١م[٢٤] .

وقد دفع ابن شيخ الشيوخ عماد الدين أبو الفتح عمر بن صدر الدين(ت: ٦٣٨هـ/ ١٢٣٨م)[٢٥] حياته من أجل الصلح بين ملوك البيت الأيوبي ففي سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م سعى عماد الدين من أجل بقاء دمشق للملك الجواد مظفر الدين يوسف بن مودود بن العادل(ت: ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م)[٢٦] ، فلّما ذهب إلى مصر لامه الملك العادل بن الكامل من أجل مساعدته للملك الجواد على تمليك دمشق وأخذها منه، فذهب عماد الدين إلى دمشق طلب الجواد بأن يتنازل عن دمشق للملك العادل[٢٧] إلا أنّ الجواد كان قد اتفق مع الملك الصالح نجم الدين أيوب بتسليم دمشق إليه وتعويضه بسنجار والرقة وعانة [٢٨]، فأمر الجواد بقتل عماد الدين لئلا يفسد عليه اتفاقه وقتل على يد رجل نصراني[٢٩] .

وبرز بعضهم كسفراء للأيوبيين على صعيد علاقاتهم الخارجية، فعلى سبيل المثال عندما ثارت الخلافات بين الملك الكامل محمد سلطان مصر وأخيه الملك المعظم عيسى صاحب

دمشق، إستعان المعظم عيسى بقوة الخوارزميين، وإتفق معهم على الإستيلاء على بعض مُمتلكات أخيه الأشرف موسى، وعلى أن يسقط إسم الملك الكامل من الخطبة من على منابر دمشق[٣٠]، فخشى الملك الكامل من زوال ملكه وأخذ يُفكر في وسيلة يستعين بها لضرب التحالف المقام ضده ووجد الكامل ضالته في قوة فردريك الثاني (١٢١٢- ١٢٥٠م/ ٦٠٩هـ-٦٤٨هـ) إمبراطور الامبراطورية الرومانية المقدسة، الذي عُرف بميله لإيجاد علاقات طيبة مع حكام البلدان الإسلامية خاصة مصر والشام من أبناء البيت الأيوبي، وكان مُحباً للعلم والعلماء على غرار الملك الكامل مّما أدى إلى اتفاق الجانبين، وقد اختار الملك الكامل فخر الدين بن شيخ الشيوخ ليكون سفيره إلى فردريك الثاني نظراً لشخصيته القوية، كما أنه من بيت علم ومعرفة وتصّوف وله دراية واسعة بالعلوم والمعارف لذلك اختاره ليكون سفيره إلى فردريك الثاني، وكان ذلك سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م حيث قابل فخرالدين بن شيخ الشيوخ الإمبراطور فردريك الثاني في بلاطه بمدينة بالرمو بجزيرة صقلية، وعرض عليه ترحيب سيده الملك الكامل بقدوم فردريك الثاني إلى عكا والتنازل له عن بيت المقدس، وقد رحّب فردريك بهذا العرض مُنتهزاً الخلافات بين الكامل وأخيه الملك المعظم كي يحصل على بيت المقدس بدون حرب[٣١] ، وبقيت المودة والمراسلة بينهما إلى ما بعد تسليم بيت المقدس سنة ٦٢٦هـ /١٢٢٨، وكان فخر الدين بن شيخ الشيوخ يُمثل حلقة الوصل بينهما [٣٢].

كما أرسله الملك الكامل سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م على رأس وفد إلى الخليفة العباسي المستنصر بالله بن الظاهر(٦٢٣-٦٤٠هـ/ ١٢٢٦-١٢٤٣م) ليُطلعه على التطورات السياسية الأخيرة التي أعقبت وفاة الملك المعظم عيسى سنة ٦٢٤هـ/ ١٢٢٧م ومُحاولة الكامل بالاتفاق مع أخيه الأشرف موسى على تصفية مُمتلكات أخيه المعظم عيسى[٣٣] .

وإحتل فخرالدين بن شيخ الشيوخ مكانة بارزة في عهد الملك الكامل الذي اتخذه عوناً له في تدبير شؤون السلطة الأيوبية، من ذلك على سبيل المثال ما حدث سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م عندما خرج الملك الكامل لمحاربة ابن أخيه الناصر داوود والاستيلاء على دمشق وأناب إبنه الصالح نجم الدين أيوب في حكم الديار المصرية وأقام معه الأمير فخر الدين بن شيخ الشيوخ ليحّصل الأموال ويدّبر أمور المملكة [٣٤] ، كما إعتمد عليه الملك الصالح نجم الدين في تدبير شؤون مملكته وعهد إليه بالوزارة ونيابة السلطنة [٣٥].

غير أنّ الدور الهام الذي لعبه الأمير فخر الدين في تدبير شؤون السلطنة الأيوبية في مصر كان بعد وفاة الملك الصالح نجم الدين سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م في وقت كانت القوات الصليبية تُحاصر دمياط، وأمام تلك الظروف الحرجة اتفقت شجر الدر أرملة الملك الصالح مع الأمير فخر الدين الذي كان يتولى وظيفة مُقدم العسكر ونائب السلطنة على كتمان خبر وفاة الملك الصالح حتى لا يتسرب الضعف إلى نفوس الجُند من جهة، وحتى لا ينتهز الصليبيون الفرصة فيقوموا بهجوم على المعسكر الإسلامي من جهة أُخرى [٣٦]، وفي نفس الوقت إتفقت شجر الدر مع الأمير فخر الدين على أن يقوم بتدبير شُؤون السلطنة إلى أن يحضر الملك المعظم تورانشاه الذي كان مُقيماً بحصن كيفا[٣٧] ، وكان فخر الدين يتمتع بشخصية قوية وعقلية سياسية ومهارة حربية فائقة حببّت فيه أهالي مصر فضلا عن ذلك انتمائه إلى أسرة شيخ الشيوخ وما تتمتع به من مكانة طيبة في نفوس المصريين.

من جهة أخرى حرص الأيوبيون على تقليد بعض مشايخ الزهّاد والصوفية المناصب الإدارية المهمة وفي مقدمتها القضاء، كالشيخ أبو محمد عبد القادر بن محمد ابن سعيد الأنصاري الجزري –نسبة إلى جزيرة ابن عمر (ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م) الذي تولّى القضاء ببعض بلاد الصعيد [٣٨]، إلا أنّ بعضهم كانوا عازفين عن تقلد المناصب بحكم تقشفهم وتمسكهم بالدين، مثال ذلك الشيخ أبو الحسن اميري بن الناصر بن اميروز العلوي الفارسي الصوفي (ت: ٦٠٤هـ/١٢٠٧م) عُرضت عليه نقابة

الأشراف بالديار المصرية فأبى [٣٩]، وكذلك الشيخ عبد العزيز بن احمد بن عبد الله الديريني(ت:٦٩٤هـ/ ١٢٩٤م) الذي رفض تقلد القضاء بمصر[٤٠] ، أما الشيخ أبو عبدالله محمد بن الحسين بن رزين العامري(ت: ٦٨٠هـ/ ١٢٨١م) فقد تولّى مناصب عدة كالقضاء ووكالة بيت المال والتدريس إلاّ أنه إمتنع عن أخذ الجامكية (الراتب) مُقابل ذلك [٤١]، وفضّل كغيره من الزّهاد والصوفية أن يحصل على قوته من كسب يده [٤٢].

ثانياً– دور الصوفية الجهادي:

يُؤاخذ البعض على الصوفية ميلها لحياة العزلة وبثها لروح الكسل والخمول، والتواكل بين المسلمين، وعدم الجد في أمور الدين والدنيا، وعدم الأخذ بأسباب القوة في مواجهة الأعداء، فكانوا حسب رأيهم سبباً في تعطيل جهاد الكفار اعتقاداً منهم أن جهاد النفس هو أعلى مرتبة من جهاد العدو [٤٣]، لذلك كانوا بعيدين عن ميادين القتال ضد الصليبيين، فعندما أغار الصليبيون على البلاد الإسلامية في نهاية القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي، كان الكثير من الصوفية غارقين في خلواتهم مُنكبين على أورادهم، ولم تكن الحروب الصليبية الشغل الشاغل لهم، وإنّما إنصبت دعواتهم للناس الى الاعتزال والتقشف والزهد ونشرت بين المسلمين داء الكسل والتعطيل[٤٤] .

على أنّ ذلك الموقف السلبي لا يُمثل موقف عامة الصوفية وشيوخها، فعلى سبيل المثال دعى الإمام أبو حامد الغزالي (ت: ٥٠٥هـ/ ١١١١م) وهو من مشاهير أئمة الصوفية المعاصرين لتلك الحروب المسلمين الى جهاد العدو كونه فرض يجب أن لا يتقاعسوا عن أدائه بأي حال من الأحوال [٤٥].

ورغم أنّ البعض ينتقد الإمام أبو حامد الغزالي لعدم اشتراكه الفعلي في قتال الصليبيين، إلاّ أننا يُمكن أن نُبرر ذلك إذا ما علمنا أن الإمام الغزالي كان يُمثل فيلسوفاً وفقيهاً صوفياً ومُصلحاً اجتماعياً ومنظراً سياسياً، فضلاً أن العصر الذي عاش فيه الغزالي كان عصر ضياع وتشرذم فيه مزيج من إختلاطات المذاهب والآراء والأفكار فأراد أن يأخذ على عاتقه عبء الإصلاح فبينما كان الصليبيون يتأهبون لمهاجمة العالم الإسلامي مُستغلين ضعف الخلافة العباسية، كان الغزالي حينها يتهيأ لمعالجة جذور المشكلة وأسباب الداء، وهو بذلك لم يكن بعيداً عن المجاهدين، فاستحق عند الجميع أن يكون (حجة الإسلام)، ولو أنه إتجه إلى القتال لما وجدنا في تراثنا الإسلامي هذه المجموعة العظيمة من الكتب التي خلّفها والتي لاتزال تزخر بها المكتبة الإسلامية(٤٦) ، ومن المعلوم أنّ الجهاد فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقين قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ)[٤٧] .

وقد إستطاع الكثير من الصوفية الجمع بين الجهاد القتالي وجهاد النفس، لأنّ هناك ترابطاً وثيقاً بينهما فالجهاد الأكبر تهذيب النفس وتوجيهها تجاه الخير وهي بذلك تستعد لملاقاة العدو ومنازلته، أما النفوس التي انحرفت وسارت مع الهوى فإنها لا تستطيع أن تواجه العدو ولا أن تصارع المعتدين، وقد كانت الظروف المحيطة دافعاً قوياً لاعتزال الكثير من الصوفية الاختلاط مع الناس وسلك قسم منهم طريق الوعظ والتذكير بالحياة الأخرى واندفع القسم الآخر للمُرابطة في جبهات القتال التي وجدوا فيها راحةً لنفوسهم وتخليصاً من مشاهد تطاحن الأحزاب والفتن والتكالب على الدنيا، وقد تسّنى لهم في هذه الثغور مُمارسة رياضاتهم وجهادهم، وكانوا يتقدمون الصفوف المجاهدة طلباً للاستشهاد في سبيل الله [٤٨]، وقد لقُب الصوفية بفتيان الثغور، لأنّ إقامتهم في تلك الثغور كانت تطول في بعض الأوقات[٤٩] .

وعندما سّلم الملك الصالح عماد الدين إسماعيل[٥٠] قلعة صفد وقلعة الشقيف وبلادها ومُناصفة صيدا وطبريا وأعمالها، وجبل عاملة، وسائر المناطق الساحلية للصليبيين سنة ٦٣٩هـ/١٢٤١م، وأذن للصليبيين في دخول دمشق وشراء السلاح، فأكثروا من إبتياع الأسلحة وآلات الحرب من أهل

دمشق، فأنكر المسلمون ذلك، ومشى أهل الدين منهم إلى العلماء والصوفية واستفتوهم، فأفتى الشيخ عز الدين بن عبد السلام (ت٦٦٠ هـ /١٢٦٢ م)[٥١] بتحريم بيع السلاح للصليبيين وقطع من الخطبة بجامع دمشق الدعاء للصالح إسماعيل، وصار يدعو في الخطبة بدعاء منه: "اللهم أبرم لهذه الأمة إبرام رشد تعز فيه أولياءك، وتذل فيه أعداءك، ويعمل فيه بطاعتك، وينهي عن معصيتك، والناس يضّجون بالدعاء"[٥٢] ، وعندما علم بذلك الصالح اسماعيل أمر بحبسه هو والفقيه جمال الدين عثمان بن عمر بن الحاجب الكردي (ت: ٦٤٩هـ/ ١١٧٤م)[٥٣] ، الذي أنكر معه ما فعله الصالح إسماعيل بفرض الإقامة الجبرية عليه بعد أن عزله عن الخطابة، ومنعه من الفتوى وأن لا يدخل عليه أحد إلا الطبيب أو المزين –الحلاق–[٥٤] ، ثمّ نزح إلى بيت المقدس، ومنها إلى نابلس بناء على طلب من الملك الناصر داوود حاكم الكرك ونابلس الذي كتب إليه أبياتاً من الشعر يطلب منه فيها حث الملوك على التأزر وترك الخصومات، ودعوة الناس على مُقاومة الصليبيين والصمود أمام المذابح التي أوقعها هجوم الصليبيين على نابلس في ٦٣٧هـ/ ١٢٤٠م، ويصف له فداحة الهجوم وما أحدثه من خسائر[٥٥] ، ومن جُملة تلك الأبيات نذكر:

ألا ليت امي أيم طول عمرها

فلم يقضي ربي لمولى ولا بعل

ويا ليتها لما قضاها لسيد لبيب

أريب طـيب الفرع والأصـل

قضاها من اللاتي خلقن عواقراً

فما بشرت يوماً بانثى ولا فحل

ويا ليتها لما غدت بي حامـلاً

أصبحت بما اجتنبت عليه من الحمل

ويا ليتني لما ولدت وأصبحت

تـشد الي الشد قميات بالرحـل

لحقت بأسلافي فكنت ضجيعهم

ولم أر في الاسلام ما فيه من قبل[٥٦]

كما كان لبعضهم مواقف جيدة في الجهاد، حيث شاركوا في الدفاع عن بلاد الشام ومصر ضد الحملات الصليبية عن طريق الترويج للحرب وشحذ نفوس المسلمين للقتال باسم الإسلام، واعتبروا ذلك من الفضائل الكبرى، فضلا عن مشاركاتهم الفعلية في الجهاد، فعلى سبيل المثال أشتهر الشيخ أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبدالله بن يحيى البلوي المالقي (ت: ٦٠٤هـ/١٢٠٧م) بأنه كان أحد الزهّاد المغاربة المشهورين رحل بدافع الجهاد الى المشرق "ولم تفته غزوة في البر والبحر"[٥٧] ، وفقد بعضهم حياته في ساحات القتال كالشيخ عبد الله بن شاس بن نزار المالكي الذي استشهد في موقعة حصار دمياط سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م [٥٨] .

وكان للشيخ أبو الحسن علي بن عبد الله الشاذلي المغربي (ت: ٦٥٦هـ/ ١٢٥٦م) ومريديه وأتباعه الذين التفوا حوله دور مشهود في قتال الصليبيين في معركة المنصورة سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٤٩م في الحملة التي قادها لويس التاسع، وشارك معه الشيخ عز الدين عبد السلام مع عدد كبير من العلماء وحثوا الناس على الجهاد والتصدي للغزاة، ورغم كفاف بصر الشيخ الشاذلي إلا أنه ظّل مع الجند وسط المعركة لإضفاء روح الحماسة وحث الجنود بإحدى الحسنين النصر أو الشهادة [٥٩]، ولم يقتصر دورهم في النهار وسط الجند بل إستمر جهادهم إلى الليل، حيث كان الشيخ الشاذلي يجتمع مع أصحابه يدعون ويصلون لله تعالى ويسألونه النصر [٦٠].

وكان للشيخ أحمد البدوي (ت: ٦٧٥هـ/ ١٢٧٦م) [٦١] دور مهم في معركة المنصورة حيث أعاد رص صفوف قوات الجيش الأيوبي بوعظه الذي أثار الحماس فيه[٦٢] ، وانتهت المعركة بانتصار المسلمين الذين تمكنوا من أسر لويس التاسع [٦٣].

وفي الواقع فإن الظاهرة الهامة في العصر الأيوبي هي انتشار الصوفية وطغيانها وتملكها مشاعر العامة وعواطفهم حتى بدت

مظهراً دينياً خالصاً، ويُفسر بعضهم أن ذلك يعود إلى كثرة الحروب والفتن وإلى نشوء مذاهب دينية تحوي بعض مبادئ الفوضى والهدم، هذا فضلاً عن بدء تسرب جحافل الصليبيين إلى البلاد الإسلامية فوجد العامة في التصّوف الملجأ والمخلّص مما هم فيه من المحن والهموم، وعظم اعتقادهم في مشايخ الصوفية ،وكان الصوفية [٦٤]في مُقدمة رجال الدين الذين ساهموا في القتال كمتطوعين في المقاومة الشعبية ضد الصليبيين مع نور الدين محمود [٦٥] .

كما سار الأيوبيون على النهج ذاته، فقد حرصوا إشراك الصوفية في حملاتهم العسكرية من أجل رفع الروح المعنوية للمقاتلين، فعندما تقدم الأمير أسد الدين شيركو – اخو السلطان صلاح الدين الايوبي – إلى مصر صحبه عدد من الفقهاء والصوفية مُنهم الفقيه الواعظ شرف الاسلام عز الدين بن عبد الهادي (ت: ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م) [٦٦]، كما عرف عن نجم الدين أيوب والد السلطان صلاح الدين محبته لشيوخ الصوفية ومُصاحبته لهم وكان كثير الإحسان إليهم [٦٧].

وعرُف عن السلطان صلاح الدين إهتمامه بإنشاء الربط والخوانق والزوايا كونها كانت تمثل منشأت عسكرية وتربوية، كما كان حريصاً أن يصطحب معه في المعارك شيوخ الصوفية لأخذ الرأي والمشورة، فضلاً على أنّ وجودهم كان يعتبر حافزاً قوياً للمُريدين على القتال ببسالة وشجاعة نادرة، وكان حضورهم مشهوداً في معركة حطين سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م، وفتح بيت المقدس التي حضرها الكثير من أهل العلم والصوفية وأرباب الخرق[٦٨] ، كما كان السلطان حريصاً على الإقتداء بسيرة الصوفية وسلوكهم من خلال اهتمامه البالغ بالجهاد، حيث كان يعتبر نفسه واحداً منهم، ويصف لنا ذلك مرافقه قاضي العسكر ابن شداد (ت: ٦٣٢هـ/١٢٣٤م) بقوله: "لقد كان رحمه الله شديد المواظبة عليه –الجهاد– عظيم الاهتمام به، ولو حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه الى الجهاد ديناراً ولا درهماً إلّا في الجهاد أو في الارفاد لصدق وبرّ في يمينه، ولقد كان الجهاد حبه والشغف به قد إستولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاءً عظيماً، بحيث ما كان له حديث إلا فيه، ولا نظر إلّا في آلته، ولا كان له إهتمام إلا برجاله، ولا ميل إلّا الى من يّذكره ويّحث عليه، ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر ملاذه وقنع من الدنيا بالسكون في ظل خيمة تهب بها الرياح يُمنة ويسرة...، وكان الرجل إذا أراد أن يتّقرب إليه يحثه على الجهاد أو يذكر شيئاً من أخبار الجهاد، ولقد ألّف له كتب عدة في الجهاد وأنا ممن وضعت له فيه كتاباً جمعت فيه آداب الجهاد وكل آية وردت فيه وكل حديث روي في فضله، وكان رحمه الله كثيراً ما يُطالعه..."[٦٩] .

وجاء في المصادر التاريخية ذكر عدد من الصوفية الذين استشهدوا في بعض المعارك مع الصليبيين كالشيخ الزاهد جمال الدين أبو علي الحسين بن عبد الله الذي ينتهي نسبه إلى ابن رواحة الأنصاري الخزرجي[٧٠]، كما كان الفقيه الصوفي إسماعيل الأرموي المكبس من بين أسماء الشهداء في معركة مرج عكا [٧١].

وقد عهد الأيوبيون أحياناً بالقيادة الحربية الى بعض رجالات الصوفية ممن كانوا يثقون بهم كأبناء شيخ الشيوخ صدر الدين محمد بن حمويه الجويني حيث تقّلد عدد من أبناءه القيادة العسكرية للأيوبيين في بعض معاركهم نذكر منهم: الشيخ عماد الدين عمر بن صدر الدين (ت: ٦٣٦هـ/١٢٣٨م) الذي كان مُقرباً من الملك الكامل محمد، وكان يُباشر التدريس ويقدم الجيوش وحاز على "فضيلتي السيف والقلم" حسب تعبير أبو الفدا [٧٢]، وأخيه الشيخ كمال الدين احمد (ت: ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م) الذي كان رجلاً عالماً زاهداً تقلد عدداً من المناصب في عهد الملك الكامل، كما عهد اليه الملك الصالح نجم الدين بالقيادة الحربية في بعض حملاته [٧٣].

كما جمع معين الدين حسن بن شيخ الشيوخ (ت: ٦٤٣هـ/ ١٢٤٦م) بين العلم والتصّوف والمهارة في فنون الحرب والقتال والسياسة، وقد ساعده ذلك على تقّلد وظائف مُختلفة دينية وسياسية وعسكرية، لاسيما في عهد الملك الصالح نجم

الدين أيوب حيث قاتل إلى جانبه ضد الملك الصالح إسماعيل صاحب دمشق واستطاع من تملكها [٧٤].

ومن أبناء صدر الدين محمد بن شيخ الشيوخ أيضاً الشيخ فخر الدين يوسف (ت: ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م) الذي اضطلع بمهام سياسية ودبلوماسية وعسكرية كبيرة، وقاد الجيوش الأيوبية في أكثر من جبهة من أشهرها قتاله ضد الخوارزمية الذين شكّلوا خطراً على سلطة الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤هـ/ ١٢٤٤م لاسيما بعد تحالفهم مع الناصر داود وتمكن من إلحاق الهزيمة بهم[٧٥] .

وكذلك مُشاركته في القتال ضد الصليبيين أكثر من مرة منها ما حدث سنة ٦٤٥هـ/ ١٢٤٧م عندما عهد إليه الملك الصالح نجم الدين بالاستيلاء على كل من عسقلان وطبرية فتمكن من الاستيلاء عليهما بالقوة من أيدي الصليبيين وهدم ما استجده بها الصليبيون من قلاع [٧٦]، أما الدور الحاسم الذي لعبه فخر الدين بن شيخ الشيوخ فكان في قتال الصليبيين في الحملة الصليبية السابعة على مصر سنة ٦٤٧هـ/ ١٢٥٠م، وفيها كان استشهاده بعد أن قّدم مثالاً رائعاً للبسالة والإقدام بعد أن فّر مماليكه وتركوه وحيداً في ميدان القتال يدافع عن نفسه، وكان أن هجم عليه عدد من الفرسان الصليبيين بسيوفهم بعد أن كان قد طُعن برمح في جنبه فُقتل في ساعته [٧٧].

فضلا عن القتال شارك بعضهم في تحصين المدن من خلال بناء الأسوار وحفر الخنادق، ويدلنا على ذلك ما ذكرته المصادر التاريخية من أنه عندما شرع السلطان صلاح الدين في تحصين القدس وعمارة أسوارها، وحفر خنادقها سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م عمل السلطان في ذلك بنفسه وشاركه في نقل الحجارة "جماعة خواصه والأمراء، واجتمع لذلك العلماء والقضاة والصوفية والأولياء، وحواشي العساكر والأتباع وعوام الناس، فبنى في أقرب مدة ما يتعذر بناؤه في سنين"[٧٨] .

كما قام بعض الشيوخ بوضع مُصنفات في السياسة والحرب تطرقوا فيها إلى الأسس والمفاهيم السياسية التي ينبغي للحكام الإلمام بها والإلتزمات الأخلاقية تجاه رعاياهم كالشيخ أبو بكر الهروي (ت:٦١١هـ/ ١٢١٣م) صاحب كتاب: (التذكرة الهروية في الحيل الحربية)، حيث تضّمن ما يحتاج إليه الملوك في سياسة الرعية وما يعتمدون عليه في الحرب وما يدخّرونه لدفع المشكلات مما يؤول إلى بقاء دولتهم وحفظ بلادهم [٧٩].

نستنتج مما سبق أن الصوفية كانوا قوة فاعلة لا يقلون أهمية عن الفقهاء والعلماء وكانوا في مُقدمة المشاركين بالعمليات الحربية، ولم يكن تفرغهم للعبادة وحدها كما يفهم ذلك من رواية الرحالة ابن جبير (ت: ٦١٤هـ/ ١٢١٧م) خلال رحلته في بلاد الشام من أنّ الصوفية قد كفاهم الله "مُؤن الدنيا وفرغ خواطرهم للعبادة من الفكر في أسباب المعايش"[٨٠] ، ويبدو أنّ ابن جبير بحكم المدة القصيرة التي أمضاها هناك لم يلتمس كافة جوانب نشاط الصوفية ومن ثمّ فقد تصور تفرغهم لأمور العبادة وحدها.

الخاتمة

أهم الاستنتاجات التي توصل اليها الباحث:

أولاً- لم يكن التصوف الانشغال بالعبادة وحدها والابتعاد عن مجريات الاحداث،بل مواكبة ظروف العصر والمشاركة الفعالة في الاحداث القائمة انذاك.

ثانيا- مساهمة الصوفية في تثبيت دعائم الدولة الايوبية وتحمسهم في القضاء على المذهب الشيعي واعلان المذهب السني.

ثالثا- اعتماد الملوك الايوبيين في معظم الامور على المتصوفة واستشارتهم والاخذ برأيهم وأتخاذهم كاصدقاء وندماء واغداقهم بالاموال والاقطاعات والمناصب .

رابعا- سعى بعض المتصوفة لاصلاح ذات البين بين الاسرة الايوبية وحل المشاكل التي كانت تعصف بالملوك الايوبيين بين الحين والاخروايضا تنبيههم اذا رأوا منهم انحرافا عن الشرع والدين وان سلوكهم قد يضر بالمصلحة العامة.

خامسا- شارك الصوفية في حركة الجهاد الاسلامي ضد الغزو الصليبي،اما عن طريق رفع الروح المعنوية وشحذ نفوس المقاتلين ووعظهم او الاستشهاد في سبيل الله فضلا عن تولي بعضهم القيادة الحربية.

هوامش البحث والمصادر والمراجع

(١)الشيزري، عبد الرحمن بن عبدالله (ت:٥٨٩هـ/١١٩٣م)،المنهج المسلوك في سياسة الملوك، تحقيق.علي عبد الله الموسى (الزرقاء: ١٩٨٧م)، ص٨٨.

(2) أبو شامة،عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسي(ت:٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، الروضتين في اخبار الدولتين،(بيروت:د/ت)، جـ٢، ص١٩٥؛ ابن قاضي شهبة،محمد بن ابي بكر(ت:٨٥١هـ/١٤٤٨م)، طبقات الشافعية، تحقيق.عبدالعليم خان(بيروت:١٩٨٧م)، جـ ١،ص٤٧٨.

(3) ابن جبير، محمد بن احمد الكناني الاندلسي (ت:٦١٣هـ /١٢١٧م)،رحلة ابن جبيرالمسماة(تذكرة بالاخبارعن اتفاقات الأسفار)، (بيروت:١٩٨١م)، ص٥٠.

(4) أبو شامة، الروضتين، جـ١، ص٢٢٠؛ المقريزي، تقي الدين احمد بن علي (ت:٨٤٥هـ/١٦٠٢م)،السلوك لمعرفة دول الملوك(القاهرة:١٤٣٠م)، جـ ١، ص ص١٦٢- ١٦٣.

(5) سبط بن الجوزي،شمس الدين أبي المظفر بن قزاوغلي(ت:٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان(حيدر آباد:د/ت)، جـ٨، ق٢، ص٥١٥؛ الذهبي، شس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد،(ت:٧٤٨هـ/١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، تحقيق.شعيب الارنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي(بيروت:١٩٨٢م)، جـ٢١، ص٣٩٣؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، جـ١،ص٤٣٧.

(6) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ق٢، ص٥١٥؛ أبو شامة، الذيل على الروضتين، ترجمة.محمد زاهد أبن الحسن الكوثري (بيروت:١٩٧٤م)،ص٣٥؛ ابن كثير، إسماعيل عماد الدين أبي الفداء القرشي (ت:٧٧٤هـ/١٣٧٢م)،البداية والنهاية(بيروت:٢٠٠٧م)، جـ١٣، ص٣٥.

(7) ابن رجب،عبد الرحمن بن احمد ، الذيل على طبقات الحنابلة ، تحقيق. عبدالرحمن سليمان العثيمين(الرياض: ٢٠٠٥م)، جـ٣، ص٤٣٧؛ شوكت عارف محد الاتروشي، الحياة الفكرية في مصر خلال العصر الايوبي(عمان: ٢٠٠٧م)، ص٧٩.

(8) الذهبي، العبرفي خبر من غبر،تحقيق.أبو هاجر محمد بن بسيوني زغلول(بيروت:١٩٨٥م)، جـ٣، ص١٢٦؛ ابن كثير، البداية, والنهاية، جـ ١٣، ص٣٥ .

(9) غارسان، جان كلود،مصر في العالم الإسلامي(يونيسكو:١٩٨٩م)، مج ٤، ص٣٧٧.

(10) ابن خلدون،أبو زيد عبد الرحمن بن محمد(ت:٨٠٨هـ/١٤٠٦م)، المقدمة(بيروت:د/ت)، ص٢٠٣.

(11) الشيزري، المنهج المسلوك في سياسة الملوك ، ص١١٨؛ الأتروشي، الحياة الفكرية، ص٧٠.

(12) ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم(ت:٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق. حسنين محمد ربيع وسعيد عبد الفتاح عاشور(القاهرة :١٩٧٧م)، جـ ٥، ص ص١٤؛ الذهبي، العبر، جـ ٥، ص ص٤٤- ٤٥.

(13) ابن واصل، مفرج، جـ ٤، ص ٧٩؛ ابن كثير، البداية، جـ١٣، ص٩٣.

(14) أبو شامة، الروضتين، جـ٢، ص١٦٣؛ النويري، نهاية الأرب في فنون الادب، تحقيق. نجيب مصطفى وآخرون (بيروت: ٢٠٠٤م)، جـ٢٩، ص٩٩.

(15) محمد، الحياة الفكرية، ص٧٠.

(16)أبو شامة، الذيل على الروضتين، ص٢١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٤، ص٢٤٥؛ الذهبي، العبر، جـ٣، ص٢٧٤؛ الداودي،الحافظ شمس الدين بن علي بن أحمد(ت:٩٤٥هـ/١٥٣٩م) ، طبقات المفسرين(بيروت:١٩٨٣م)، جـ٢، ص٣٨٣.

(17) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٤، ص٢٤٥؛ أ بو الفدا، عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر (ت:٧٣٢هـ/١٣٣١م)،المختصر في أخبار البشر،تحقيق.محمود دبوب(بيروت:١٩٩٧/)، جـ٢، ص٣٤٠.

(18) أبو الفدا، المختصر، جـ٢، ص٣٤٠.

(19) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢، جـ٩، ص٦٥٤؛ الحنبلي،أحمد بن إبراهيم(ت:٨٧٦هـ/١٤٧٢م)، شفاء القلوب في مناقب بني أيوب،تحقيق. ناظم رشيد(بغداد:١٩٧٨م)، ص ٣١٢.

(20) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٩، صص٦١ – ٦٢.

(21) السبكي، تاج الدين أبو منصور عبد الوهاب علي (ت:٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق. عبد الفتاح محمد الحلو(القاهرة:١٩٧٠م)، جـ٨، ص٤٨.

(22) المقريزي، السلوك، جـ١، ص٢١٩.

(23) النويري، نهاية الأرب، جـ٢٩، ص١٤٧.

(24) آسيا سليمان نفلي، دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية(الرياض: ٢٠٠٢م)، ص١٨٦.

(25) عن سيرته ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص٢٠٠؛ الذهبي، العبر، جـ٣، ص٢٢٨؛ الغساني، أبو العباس إسماعيل بن علي الملك الأشرف(ت:٨٠٣هـ/١٤٠٠م)، العسجدالمسبوك والجوهر المحكوك في طبقات الخلفاء والملوك، تحقيق.شاكر محمود عبد المنعم (بيروت:د/ت)، جـ٢، ص٤٨٩؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٩٢؛ الحنبلي، أحمد بن إبراهيم(ت:٨٧٦هـ/١٤٧٢م)، شفاء القلوب القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق. ناظم رشيد(بغداد:١٩٧٨م)، ص٣٨٩.

(26) عن سيرته ينظر:، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢، جـ٨، ص٧٤٣؛ ابن العميد، أخبار الأيوبيين،(القاهرة: د/ت)، ص٢٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٩٢؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٩، صص١٥٦ – ١٥٧.

(27) سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، ق٢، جـ٨، ص٧٢١؛ ابن الجزري، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم (ت:٧٣٩هـ/١٣٢٨م)، حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه ، تحقيق. خضيرعباس محمد خليفة المنشداوي (بيروت:١٩٨٨م)، ص١٧٤؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص١٧٩؛ الحنبلي، شفاء القلوب، ص٣٨٠.

(28) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص٢٠٠.

(29) ابن الجزري، حوادث الزمان، ص١٧٤؛ النويري، نهاية الأرب، جـ٢٩، ص ص١٥٦ – ١٥٧.

(30) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان ، جـ٨، ص٦٣٤؛ المقريزي، السلوك، جـ١،ق١، ص٢١٦.

(31) حامد زيان غانم، العلماء بين الحرب والسياسة في العصر الايوبي، اسرة شيخ الشيوخ(القاهرة :١٩٧٨م)، ص ٦٨.

(32) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٤، ص٢٤٢؛ الذهبي، العبر، جـ٣، ص٢٥٨.

(33) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ص٦٥٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، جـ ٤، ص٢٣١؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ق١، ص٢٣٦؛ غانم، اسرة شيخ الشيوخ، ص٦٩.

(34) ابن العميد، اخبار الايوبيين، ص١٣٧؛ المقرزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٢٢٥.

(35) السبكي، طبقات الشافعية، جـ٥، ص١٥٢؛ السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهر، تحقيق. محمد ابو الفضل ابراهيم (بيروت: ٢٠٠٤م)، جـ٢، ص٢١٦.

(36) أبو الفدا، المختصر، جـ٣، ص١٨٠؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٣٤٢.

(37) ابن العميد، أخبار الأيوبيين، ص١٥٩.

(38) المنذري، عبدالعظيم(ت:٦٥٦هـ/١٢٥٦م) االتكملة لوفيات النقلة، تحقيق. بشتر عواد معروف (بيروت: ١٩٨٨م)، مج ٣، ص٥٦٢؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام ، تحقيق.عمر عبد السلام تدمري (بيروت:٢٠٠٣)، ص٣٤٤.

(39) المنذري، التكملة، مج٢، ص١٣٣.

(40) الداوودي، طبقات المفسرين، جـ١،ص٣١٠؛ ابن قاضي شهبة ، طبقات الشافعية، جـ ٢،ص٣٦.

(41) الداوودي، طبقات المفسرين، جـ٢، ص١٤٠؛ ابن قاضي شهبة، طبقات الشافعية، جـ ١، ص٤٧٩.

(42) المنذري، التكملة، جـ٣، ١، ص٦٣؛ ابن العماد الحنبلي ،أبو الفلاح عبد الحي(ت:١٠٨٩هـ/١٦٧٨م)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت:د/ت)، جـ ٥، ٣٦٤.

(43) ابن تيمية، أحمد تقي الدين بن شهاب الدين (ت:٧٢٧هـ/١٣٢٧م)،مجموعة الفتاوي (المنصورة: ١٩٩٧م)، جـ ١١، ص١٩٧.

(44) محمد سيد كيلاني، الحروب الصليبية وأثرها في الادب العربي في مصر والشام(القاهرة: ١٩٧٥م)، ص٤٦.

(45) الغزالي ، أبي حامد محمد بن محمد(ت:٥٠٥هـ/١١١١م)، أحياء علوم الدين(بيروت :د/ت)، جـ ١، ص٢٦٧.

(46) للمزيد عن موقف الغزالي من الجهاد. ينظر: حشيش، رياض صالح حسين، الحركة الصوفية في بلاد الشام خلال الحروب الصليبية، رسالة ماجستير مقدمة الى الجامعة الإسلامية بغزة بفلسطين ٢٠٠٥م، ص ص٩٠- ٩٥.

(47) سورة التوبة، الآية (١٢٢).

(48) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) (مصر: ١٩٧٢م)، ص٤٠٣.

(49) المقريزي، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأثار، وضع حواشيه. خليل المنصور(بيروت:د/ت)، جـ٢، ص٤٢٧.

(50) الملك الصالح اسماعيل (الأول) عماد الدين بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر محمد بن الملك الأفضل نجم الدين أيوب بن شاذي، سادس ملوك الأيوبيين في دمشق وبصرى، وخامسهم في بعلبك قتل بمصر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م، كان في البداية حاكم لبعلبك وبصرى ثمّ حكم دمشق خلفاً لأخيه المتوفى الملك الأشرف في سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م . انظر: ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٣، ص٢٧٥؛ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٣، ص٢١٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٤١.

(51) العز بن عبد السلام: هو شيخ الإسلام أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، عز الدين، الملقب بسلطان العلماء، ولد في دمشق سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م، وتولى الخطابة والتدريس بزاوية الغزالي، ثم الخطابة بالجامع الأموي، ثمّ نزل مصر، فولّاه صاحبها الصالح نجم الدين أيوب القضاء والخطابة ومكّنه من الأمر والنهي، ثمّ إعتزل ولزم بيته، وكان من أكثر المحرّضين على حرب الصليبيين ثمّ التتار حتى وفاته. ينظر ترجمته:أبو شامة، الذيل، ص٢١٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص٣٠٢ صـ٣٠٣؛ اليونيني، ذيل مراة الزمان(حيدر اباد الدكن: ١٩٥٤م)، جـ١، ص٥٥؛ السبكي، طبقات الشافعية ، جـ٨، ص٢٤٠.

(52) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص ص٣٠٢-٣٠٣؛ السبكي، طبقات الشافعية، جـ ٨، ص٢٤٣؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٤٠٧.

(53) ينظر سيرته: ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد(ت:٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق.إحسان عباس (بيروت:د/ت)، جـ٢، ص ص٤١٢.٤١٤؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي(ت:٨٧٤هـ/١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (القاهرة:د/ت)، جـ٦، ص٣٦٠.

(54) السبكي، طبقات الشافعية، جـ٨ ، ص٢٤٣؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ص٤٠٧.

(55) عن تفاصيل الهجوم الذي شنته الصليبيون على نابلس. ينظر: اليونيني،قطب الدين موسى بن محمد(ت:٧٢٦هـ/١٣٢٥م) ذيل مرآة الزمان(الهند:١٩٥٤م)، جـ١، ص ص١٥٧.١٥٨؛ السبكي، طبقات الشافعية، جـ٨، ص٢٤٣.

(56)الملك الناصر ، داود بن عيسى الأيوبي، الفوائد الجلية في الفرائد الناصرية، تحقيق. ناظم رشيد(بغداد: ١٩٩٢)، ص١٢.

(57) المنذري، التكملة، مج ٢، ص١٤٧؛ الذهبي، تاريخ الاسلام، ص١٦٩.

(58) الذهبي، تاريخ الاسلام، ص٢٩٤؛ محمد، الحياة الفكرية، ص١٧٥.

(59) أحمد، أبو كف، أعلام التصّوف الإسلامي(القاهرة:٢٠٠٢م)، ص٥٥.

(60) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٧، ص٣٧١؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢٧٩؛ الحفني، عبد المنعم،الموسوعة الصوفية (القاهرة:١٩٩٢م)، ص٢٣٠.

(61) هو أحمد بن علي بن إبراهيم بن محمد بن أبي بكر البدوي رحل من المغرب إلى مكة ثمّ منها إلى مصر وأقام في طنطا، و يعد من مشاهير أعلام التصّوف بمصر. المناوي، عبد الرؤوف(ت:١٠٢٢هـ/١٦١٣م)، الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية ، تحقيق . عبد الحميد صالح حمدان (القاهرة:د/ت)، ص٦٢؛ التفتازاني، أبو الوفا الغنيمي، مدخل إلى التصّوف (القاهرة:١٩٧٦م)، ص٢٩٤؛ الحفني، الموسوعة الصوفية، ص٤٣.

(62) جب، السير هاملتون دراسات في التاريخ الإسلامي،ترجمة، يوسف آيبش(بيروت:١٩٩٦م)، ص٢٣١.

(63) صلاح عزام، أقطاب التصوف الثلاثة (القاهرة: ١٩٦٨م)، ص٢١.

(64) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ١٢ ص٣٤.

(65) ابن القلانسي، أبو يعلى حمزة (ت:٥٥٥هـ/١١٦٠م) ، ذيل تاريخ دمشق، تحقيق. امدروز(بيروت:١٩٠٨م)، ص٣٤٠؛ أبوشامة، الروضتين، جـ١، ص٣٤١.

(66) ابن رجب، الذيل على طبقات الحنابلة، جـ٣، ص٣٧٠؛ ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٤، ص٢٨٦.

(67) ابن الاثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني(ت:٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ،تحقيق.علي شبري(بيروت:٢٠٠٤م)، جـ١١، ص٣٩٤؛ أبو شامة، الروضتين، جـ٢، ص١٩٥؛ البدليسي،شرف خان بن شمس

الدين(ت:١٠١٠هـ/١٦٠١م)، شرفنامة، ترجمة. محمد جميل الملا أحمد الروزبياني(أربيل:٢٠٠١م)، ص١٧٥.

(68) ابن شداد، بهاء الدين أبو المحاسن بن رافع(ت:٦٣٢هـ/١٢٣٢م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق. أحمد آيبش(دمشق:٢٠٠٣م)، ص٥٣؛ أبو شامة، الروضتين، جـ١، ص٣١١؛ دريد عبد القادر نوري، سياسة صلاح الدين الأيوبي في بلاد الشام ومصر والجزيرة ، ص٤٣٨.

(69) ينظر: النوادر السلطانية، ص ص٢١- ٢٣.

(70) ابن شداد، النوادرالسلطانية، ص٩٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص٣٠٠.

(71) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص٣٠٢.

(72) ينظر: المختصر، جـ٣، ص١٦١؛ غانم، العلماء بين الحرب والسياسة، ص٢٣.

(73) ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٥، ص٢٧٧؛ غانم، العلماء بين الحرب والسياسة، ص٣٤.

(74) ابن العماد، شذرات الذهب، جـ٥، ص٢١٨؛ غانم، العلماء بين الحرب والسياسة، ص٣٩.

(75) سبط بن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨، ص٧٦١؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٣٢٥.

(76) ابو الفدا، المختصر، جـ٢، ص١٧٦؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، جـ٦، ص٣٥٨.

(77) السبكي، طبقات الشافعية، جـ٥،ص١٥٣؛ المقريزي، السلوك، جـ١، ق٢، ص٣٤٩ .

(78)ابن واصل، مفرج الكروب، جـ٢، ص٣٧٥؛ العليمي، أبو اليمن مجير الدين(ت:٩٢٨هـ/١٥٢١م)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، تقديم. محمد بحر العلوم(النجف الأشرف:١٩٦٨م)، جـ١، ص٣٨٤.

(79)الحلبي، محمد راغب الطباخ ،أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ، صححه وعلق عليه. محمد كمال(حلب:١٩٨٩م)، ص٣١٥.

(80) ابن جبير، رحلته، ص١٩٩.

پوختەیا ڤەکولینێ

ئەڤ ڤەکولینە هەولدانەکە بو پێڤاژوویا رولێ سیاسی وجیهادی یێص سوفیگەریێ ل سەردەمێ ئەیوبیان (٥٦٧-٦٤٧ك / ١٧٧١- ١٢٥٠ز) کو ئەیوبی ئێك ژ گرنگترین رەوتێن ئایینی بوو کو بوویە جهێ رازیبوونا خەلکی ، چونکە سوفیگەری نە بتنێ د بیاڤێ ئایینی دا کارتێکرنا خو هەبوو بەلکو هەمی لایەنێن ژیانا هزری وچڤاکی و وئابووری وزێدەباری پشکداریێن وان د سیاسەت وجیهادێ دا ل هەڤبەری داگیرکەرێن خاچپەریسیێ دا گورەپانێن شەراندا رولەکێبەرچاڤ دگێرا ، هەروسا ئەوان رولەکێ کاریگەر د بەرقەرارکرنا ئاسایشا ناڤخویا دەولەتا ئەیووبی دا هەبوو.

هندەك ژ شێخێن سوفیان پلێن سیاسییێن بەرچاڤ هەبوون ، کو مینا راوێژکار و بالیوزێن سولتانا رەفتار دگەل دهاتەکرن ،لێ هندەك ژ وان ژ سیاسەتا ئەیووبیان نە خاسمە دەما رەفتارێن وان ژ شەریعەتێ یان زیان گەهاندن ب بەرژەوەندا گشتی یا بوسلمانا هەلگرێن هەلوسییێن بەرهنگاربوون . ئەڤ ڤەکولینە ل سەر دوو پشکێن سەرەکی هاتیە پارڤەکرن ' یا ئێکێ : بەحسێ رولێسوفیگەریا سیاسی هاتیە کرن ، یا دووێ : بەحسێ رولێ وان یێ شەری وپشکداریێن وان یێن جیهادی هاتیەکرن .

Summary:

The research is an attempt to trace the political role of the jihadi Sufi in the Ayyubid period (567-648 AH\1171-1250AD) as it represents one of the most important religious currents , Which were accepted by the public and featured role on more than one level where not only the role of Sufism on the religious side, but included all aspects of life intellectual, social and economic as well as their contributions to the political and jihadi prominent in the face of the Crusader invasion through their participation field in the battlefields, as they had their active role in the consolidation of the internal security of the State of the Ayyubid, where he served some of the elders of the Sufi positions of prominent political, and they often serve as advisers or ambassadors of the sultans , And perhaps some of them sometimes behave as an opposition politicans Ayyubites if they find that their behavior is dissent Shara or hurt the public interest to Muslims , the research has been divided in to two major sections , the first ;was allocate to the role of Sufism political , and the second section explain their role of war and their jihadist participation.